

تفسير البحر المحيط

@ 531 الأصل صفة وإن كان يستعمل استعمال الأسماء ، وذلك لا يخرج عن حكم الصفة ،
ولذلك لم يمتنع أن يبني منه بناء مبالغة . وأنشد أبني لبيني البيت ، وقال : ذكره
الطبري وغيره بضم الباء انتهى . وعد ابن مالك في أبنية أسماء الجمع فعلاً فقال : ومنها
فعل كنجو سمر وعبد . وقرأ ابن عباس فيما روى عنه عكرمة : وعبد الطاغوت جمع عابد كضارب
وضرب ، ونصب الطاغوت أراد عبداً منوناً فحذف التنوين لالتقاء الساكنين كما قال : { وَلاَ
* يَذْكُرُونَ اللّٰهَ إِلاَّ قَلِيلاً } فهذه إحدى وعشرون قراءة بقراءة بريد ، تكون
اثنين وعشرين قراءة . .

قال الزمخشري : (فإن قلت) : كيف جاز أن يجعل □ منهم عباد الطاغوت ؟ (قلت) : فيه
وجهان : أحدهما : أنه خذلهم حتى عبدوها ، والثاني : أنه حكم عليهم بذلك ووصفهم به
كقولهم : { وَاجْعَلُوا * الْمَلَأْتِكَ الذِّينَ هُمُ عِبَادُ الرَّحْمٰنِ
إِنثًا } انتهى . وهذا على طريق المعتزلة ، وتقدم تفسير الطاغوت . وقرأ الحسن :
الطواغيت . وروي أنه لما نزلت كان المسلمون يعيرون اليهود يقولون : يا أخوة القردة
والخنازير ، فينكسون رؤوسهم . .

{ أُولَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا } الإشارة إلى الموصوفين باللعنة وما بعدها ، وانتصب
مكاناً على التمييز . فإن كان ذلك في الآخرة أن يراد بالمكان حقيقة ، إذ هو جهنم ، وإن
كان في الدنيا فيكون كناية واستعارة للمكانة في قوله : أولئك شر ، لدخوله في باب
الكناية كقولهم : فلان طويل النجاد وهي إشارة إلى الشيء بذكر لوزامه وتوابعه قبل
المفضول ، وهو مكان المؤمنين ، ولا شر في مكانهم . وقال الزجاج : شر مكاناً على قولكم
وزعمكم . وقال النحاس : أحسن ما قيل شرّاً مكاناً في الآخرة من مكانكم في الدنيا ، لما
يلحقكم من الشر . وقال ابن عباس : مكانهم سقر ، ولا مكان أشدّ شراً منه . والذي يظهر أن
المفضول هو غيرهم من الكفار ، لأن اليهود جاءتهم البينات والرسل والمعجزات ما لم يجيء
غيرهم كثرة ، فكانوا أبعد ناس عن اتباع الحق وتصديق الرسل وأوغلهم في العصيان ، وكفروا
بأنواع من الكفر والرسول ، تنتابهم الغيبة بعد الغيبة ، فأخبر تعالى عنهم بأنهم شر من
الكفار . .

{ وَاضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ } أي عن وسط السبيل ، وقصده : أي هم حائرون لا
يهتدون إلى مستقيم الطريق . .
{ وَإِذَا * جَاءَكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَقَدْ دَخَلْنَا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ

خَرَجُوا بِهِ { ضمير الغيبة في جاؤوكم لليهود والمعاصرين للرسول وخاصة بالمنافقين منهم قاله : ابن عباس ، وقتادة ، والسدي ، وهو على حذف مضاف . إذ ظاهر الضمير أنه عائد على من قبله التقدير : وإذا جاؤوكم أهلهم أو نساؤهم . وتقدم من قولنا : أن يكون من لعنه [] إلى آخره عبارة عن المخاطبين في قوله : { قُلْ يَا أَهْلَ * أَهْلِ الْكِتَابِ } وأنه مما وضع الظاهر موضع المضمرة فكأنه قيل : أنتم فلا يحتاج هذا إلى حذف مضاف . .

كان جماعة من اليهود يدخلون على رسول الله صلى الله عليه وسلم (يظهرون له الإيمان نفاقاً فأخبر الله تعالى بشأنهم وأنهم يخرجون كما دخلوا ، لم يتعلقوا بشيء مما سمعوا من تذكير وموعظة ، فعلى هذا الخطاب في جاؤوكم للرسول ، وقيل : للمؤمنين الذين كانوا بحضرة الرسول . وهاتان الجملتان حالان ، وبالكفر وبه حالان أيضاً أي : ملتبسين . ولذلك دخلت قد تقريباً لها من زمان الحال ولمعنى آخر وهو : أن أمارات النفاق كانت لائحة عليهم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم (متوقفاً لإظهار ما تكتموه ، فدخل حرف التوقع وخالف بين جملتي الحال اتساعاً في الكلام . وقال ابن عطية : وقوله : وهم ، تخليص من احتمال العبارة أن يدخل قوم بالكفر وهم قد خرجوا به ، فأزال الاحتمال قوله تعالى : وهم قد خرجوا به ، أي هم بأعيانهم انتهى . والعامل في الحالين آمننا أي : قالوا ذلك وهذه حالهم . وقيل : معنى هم للتأكيد في إضافة الكفر إليهم ، ونفى أن يكون من الرسول ما يوجب كفرهم من سوء معاملته لهم ، بل كان يُلطف بهم